



بعد التقدم الكبير الذي حققه الكتائب الثورية السورية، واستطاعت به تحرير أكثر من ثمانين مائة من الأرض السورية، عاد النظام ليحقق تقدّمه، ويستعيد الكثير من المناطق المحرّرة.
فهل اعتبرت إيران معركتها في سوريا معركة بقاء؛ فحشدت لها عشرات الآلاف من شيعة العالم؟!

أمّا هناك أسباباً في تراجع أداء الجيش الحر لاتقل أهمية عن هذا الحشد؟!

إنّا لو تفّكرنا في أسباب تراجع الثوار على الأرض؛ لوجدنا الكثير منها أمامّاً عيننا وقد يكون الحديث فيه بعض الفائدة إذا أردنا، علّنا نستطيع أن نتدارك بعض الأخطاء، ونحوه أخطاراً ليس أقلّها وقوع بلدنا في يد إيران لا سمح الله، وما ينتج عن ذلك من تهجير لأبناء شعبنا، وإحلال الشيعة مكانهم، وهو ما بدأ العمل بهاليوم سرّاً، إضافة إلى مئات الآلاف من القتلى والمشردّين وغير ذلك مما لا يمكن تخيله.

ولعل من أسباب تراجع الثوار على الأرض:

أولاً: توزّع الولاء، فهذه الكتيبة ولؤها للدولة الفلانية، وتلك للدولة العلانية، والأخرى لدولة العراق والشام الإسلامية، وهذه وهذه.

ثانياً: التخويف من التطرف الإسلامي، وكانت لأسماء الكتائب الأثر البالغ في زرع الخوف عند الغرب وأمريكا من أن يكون ذلك بداية الصحوة عند المسلمين؛ لاستعادة قوتهم، وهم الذين عملوا ولسنوات على تخويف المسلمين من الإسلام بحجّة التطرف والإرهاب.

ثالثاً: كان لعامل الزمن أثراً كبيراً في إدخال اليأس إلى قلوب البعض إضافة إلى ملل الحاضنة الشعبية من طول المدة التي تعرّضوا خلالها إلى التجويع والتهجير والقتل والاغتصاب، وممّا لا يمكن لبشر عادي أن يتحمّله، وهم الذين كانوا يتوقعون سقوط النظام خلال فترة زمنية لا تتجاوز أشهر، وكان لهذا الأمر أن يتم لولا تدخل القوى الغربية التي حسبت حساب أمن إسرائيل، ولذلك عملت وخطّطت لاجهاض الثورة، ولو لا تدخل إيران وحزب الله وإمدادهما النظام بما يحتاجه للبقاء.

رابعاً: عدم وجود المساندة الحقيقة للجيش الحر من قوى عالمية ودولية، فاحتياجات هذا الجيش لا يكفيه إمداد أفراد، بل تحتاج إلى مساندة ودعم دول.

خامساً: جشع تجّار الأسلحة الذين رفعوا سعر الأسلحة بإيعاز من دول الغرب وأمريكا، حتى يتعدّر شراؤه من قبل المتنبّعين.

سادساً: عدم الوعي بأهميّة إخفاء الأسرار العسكريّة وهذا نابعٌ من أنّ الكثيّر من أبناء هذا الجيش من المتطوّعين الذين لم يتربّوا تربيةً عسكريّة، ولم يتربّوا على الكتمان، أو يدرّكوا خطورة ما يقدّمونه إلى الإعلام، وكان بعضهم يقدّم المعلومات بالمجان، وكم من مكانٍ قُصِّفَ بعد زيارةٍ بعضِ الإعلاميين له.

سابعاً: خبث إيران والنظام الذي استطاع اخترق صفوف المجاهدين وإلّاّن الضّرر بهم نتيجةً هذا الأمر، ولا ننسى هنا كيف استطاع النّظام تكوين بعض الكتائب من المجرمين وتّجّار المخدّرات على أنّها من الثّوار؛ ولتقوم بأعمال السّرقة والنّهب والقتل مما أساء إلى الثّوار وإلى جهادهم.

ثامناً: قدوة أبناء دولة العراق والشّام إلى سوريا، وبعضهم جاء في ظروفٍ غامضة من العراق وبعد أن تمت مسرحيّة هروب المساجين من أحد السّجون الكبّرى في بغداد؛ ولن يكون هؤلاء معلول هدمٍ وعرقلةٍ للثّوار على الأرض بما حملوه من تكفّير للّناس، وقتل للمجاهدين والثّوار، وإن كنّا لا نستطيع أن نضع الجميع منهم في سلّةٍ واحدة فبعضهم جاء حقيقةً للدفاع عن الشّام وأهله إلّا أنّهم أخطؤوا الطريق.

تاسعاً: التّناحر والتّنابذ بين الكتائب العاملة على الأرض فالكثير منهم لم يتربّى التّربية الإيمانية الصّحيحة التي تجعل عمله خالصاً لوجه الله، ولم يتعرّف معنى الانقياد والطّاعة التي جعلت خالد بن الوليد يتنازل عن قيادة الجيش؛ ليصبح جندياً عاديّاً بعد ما وصله كتاب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يعزله عن قيادة الجيش لحكمه يراها عمر، بينما كان خالد يحقّق قمة انتصاراته في معركة اليرموك.

وكان التّناحر وعدم الانقياد هو الذي دفع رجلاً مخلصاً كالعكيدى مثلاً للاستقالة من قيادة هذا الجيش.

فكّرتُ كثيراً قبل أن أكتب هذا المقال، ولكنّي اعتقدت بوجود فائدة عند توصيفنا للمرض ولأسبابه عسى أن نتدارك الخلل بأسرع وقت ممكن؛ فعامل الزّمن ليس في صالحنا والله من وراء القصد **(إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم)** صدق الله العظيم.

المصادر: